

تقعيد العقائد في

مناهج الاشاعرة المتقدمين

إعداد

د. محسن قحطان حمدان الراوي

استاذ في قسم أصول الدين/كلية العلوم

الاسلامية

المطلب الاول

المقدمة

الحمد لله رب العالمين بمحامده التي يعلمها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الموقف العظيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا النبي الأُمي وعلى آله و أصحابه أجمعين .

ان بناء المنهجية في اي علم من العلوم يعد مرحلة متقدمة فيه وعليه فانه من المهم بمكان التعرف على مرحلة التفعيد في العقيدة لدى الاشاعرة المتقدمين وذلك من خلال النظر في مصنفات اعلام المدرسة الاشعرية ولا سيما في مصنفات ابي بكر الباقلاتي^(١) وعبد القاهر البغدادي^(٢) وعبد الملك الجويني^(٣) وابي حامد الغزالي^(٤)

١ - ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم البصري الاشعري البارع صاحب التصانيف المتوفى (٤٠٣هـ):

ترتيب المدارك ٣ / ٥٨٥ - ٥٨٦ تاريخ بغداد ٥ / ٣٧٩.

٢ - ابو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الفقيه الشافعي الاصولي المتكلم الاشعري الشهير المتوفى (٤٢٩هـ) تبين كذب المفتري ص ٢٥٣ - ٢٥٤ وفيات الاعيان ٣ / ٢٠٣.

٣ - ابو المعالي عبد الملك الملقب بامام الحرمين الجويني الفقيه الشافعي المتكلم الشهير المتوفى (٤٧٨هـ) وفيات الاعيان ٣ / ١٦٨ - ١٦٩ طبقات الشافعية ٥ / ١٣٦ - ١٣٨.

٤ - ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الملقب بحجة الاسلام الفقيه الشافعي المتكلم الشهير المتوفى (٥٠٥هـ) ، تبين كذب المفتري ص ٩١ ، وفيات الاعيان ٤ / ٢١٦ ، طبقات ٦ / ١٩١ - ٢٠١.

(رحمهم الله جميعا). القاعدة في اللغة: اصل الأس والقواعد: الأساس وقواعد البيت
اساسه قال تعالى ((وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت))^١ وقواعد السحاب بمعنى:
اصولها المعترضة في السماء شبهت بقواعد البيت^(٢). التقعيد يأتي بمعنى "التأسيس"^(٣) اي
وضع المعتقدات الإسلامية على هيئة اسس وقواعد يسهل معها حصر الاصول الاعتقادية
وما يتبعها من ادلة في سفر خاص يعلم المسلم من خلاله ما يجب ان يعرفه من
المعتقدات وان يلتزمه منها على سبيل الحتم وما يلزم ان يعرفه من الادلة الاجمالية
الدالة على ثبوت تلك الاصول الاعتقادية والدالة على وجوب اعتقادها سواء اكان الدليل
عقليا او نقليا. ومن هنا كان علم الكلام قائما هلى منهجية التقعيد سواء في مقدماته او
فيما يتناوله من مسائل اعتقادية وشاهدنا قول صاحب لوامع الانوار " فلما كثرت الشبه

^١ البقرة: الآية ١٢٧.

^٢ - ينظر : لسان العرب (قعد) ٣/٣٦١، الصحاح (قعد) ١/٥٢٢، تهذيب اللغة (قعد) ١/٢٠١-٢٠٢.

^٣ - المنحول في اصول الفقه ١/٤٩٦

وانتشر الاختلاف بين اهل العلم دون علم الكلام قواعد المعلومة واوضاعه المفهومة لدفع شبه الخصوم، وردهم عن تهافتهم الى الصواب المعلوم عن النبي المعصوم^(١).
والذي يؤكد هذا ايضا ان علم الكلام او علم اصول الدين يُعرّف بأنه "العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن ادلتها اليقينية"^(٢).

ان المتقدمين من الاشاعرة انتهجوا في مرحلة من مراحل التصنيف منهج تقعيد العقائد وتبئين ذلك من جهة اختيارهم لاسماء مصنفاتهم وكذلك من النظر في منهجية تلك المصنفات إذ يؤلف الباقلاني كتابه الذي يسميه (الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به) ويكتب إمام الحرمين رسالته التي يسميها (لمع الادلة في قواعد عقائد اهل السنة والجماعة) ويصنف البغدادي مصنفه الذي يسميه (قواعد العقائد).

ان الهدف من هذا البحث يكمن في بيان اهمية التقعيد ودوره في ترسيخ العقائد في اذهان الدارسين بأسلوب ميسور خالص من غوامض الاساليب الفلسفية والقواعد المنطقية هذا فضلا عن تبينه للمنهج الاسلامي والاسلوب الامثل في تقرير

١ - لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية ٤/١.

٢ - المصدر نفسه ٥/١

العقائد من حيث انه يكشف عن اهمية ذكر الدليل مقترنا بذكر المعتقد الواجب، فالباقلاني "يصرح بأن منهجه قائم على اعتماد اسلوب بيان الاعتقاد المفروض في احكام الدين وعلى اتباع السلف الصالح في ذكر جمل ما يجب على المكلفين اعتقاده ولا يسع احد الجهل به وما إذا تدين به المرء صار الى التزام الحق المفروض والسلامة من البدع والباطل المرفوض"^(١) ويصرح البغدادي في اصوله " بأنه يلتزم فيه بذكر جملة اصول الدين على قواعد فريقين الرأي والحديث"^(٢) ، ويقول البيهقي^(٣) في كتابه الاعتقاد:

"فأردت والمشيئة لله تعالى ان اجمع كتابا يشمل على بيان ما يجب على المكلف اعتقاده والاعتراف به مع الاشارة الى اطراف ادلته على طريق الاختصار وما ينبغي ان يكون شعاره على سبيل الايجاز"^(٤)، واما الجويني فيبين في لمعه " انه يذكر من الادلة في قواعد عقائد اهل السنة والجماعة"^(٥) فيما يقول الغزالي في

١ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ١٣ .

٢ - ينظر : اصول الدين ص ٢ .

٣ - ابو بكر احمد بن الحسين بن علي الخسروجدي البيهقي الشافعي شيخ خراسان في زمانه المتوفى (٤٥٨ هـ) مقدمة الاعتقاد ص ١٩ .

٤ - ينظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد ص ٣٣ .

٥ - ينظر : لمع الادلة ص ٧٥ .

قواعده" وإذا رأينا ان نقتصر بكافة العوام عن ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق^(١) وهكذا نجد المتقدمين من الأشاعرة قد اكدوا على قواعد الاعتقاد فكان المنهج العام لمصنفاتهم في مرحلة من مراحل التصنيف هو التقعيد في العقائد على ان هذا المنهج وان اشتهر به المتقدمون فقد نجده عند المتأخرين منهم أيضا ولهذا نجد التفتازاني^(٢) (رحمه الله) يصف متن النسفية بالقول: " ان المختصر المسمى بالعقائد يشتمل على غرر من الفوائد ودرر في ضمن فصول هي للدين قواعد واصول"^(٣) فمما امتاز به المتقدمون عن المتأخرين من علماء الأشاعرة فيما يخص التصنيف في العقائد ان المتقدمين بذلوا همهم في الاشتغال بالاصول والقواعد الاعتقادية والذي يشهد لهذا قول شارح العقيدة الطحاوية يمتدح فيه منهج المتقدمين من علماء العقيدة إذ يقول: " وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف

١ - ينظر: قواعد العقائد المنشور ضمن احياء علوم الدين ١/١٨٠.

٢ - سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتكلم الاشعري الشهير المتوفى (٧٩١هـ) بغية الوعاة ٢/٢٨٥، شذرات الذهب ٦/٣١٩.

٣ - ينظر: شرح النسفية ص ٥.

والاشتغال بالاطراف التي كانت همة القوم مراعاة اصولها وضبط قواعدها وشد معاقدها^(١) والحقيقة ان المتأخرين من علماء العقيدة الاشعريين وان كانوا قد وسعوا الكلام في مسائل العقيدة لاسباب اقتضتها طبيعة الصراع مع المخالفين وضرورة الدفاع عن العقيدة إلا ان مقصدهم الاساس من التضييف هو المحافظة على قواعد الشرع الاعتقادية ويدل على هذا قول القاضي عضد^(٢) الدين الايجي في موافقه إذ يعزو سبب تأليفه للمواقف" للضرورة التي اقتضتها الفترة من تشييد قواعد الدين بعد ان كادت تنهدم"^(٣) إذن فالعلماء بجملتهم متقدميهم ومتأخريهم منتبهون الى اهمية القواعد الاعتقادية واهمية التقعيد في العقائد إذ الاساس في اصول الدين هو التأسيس والتقعيد والتاصيل إذ يقول الشيخ مصطفى صبري^(٤)

١ - ينظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ١١.

٢ - عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي شيخ العلماء الشافعية ببلاد المشرق، المتكلم الاشعري الشهير المتوفى (٧٠٨هـ) شذرات الذهب ٦/١٧٤ مفتاح السعادة ١/٢١١.

٣ - ينظر: المواقف ص ٩.

٤ - مصطفى صبري بن عابدين الحنفي متولي مشيخة الاسلام في الدولة العثمانية الفقيه المتكلم. معجم المؤلفين ٢٥٨/١٢.

رحمه الله "وليس المقصود من علم الكلام إلا تأسيس عقيدة الدين على اساسه العلمي ولذا كان من اسمائه علم اصول الدين"^(١) .

ان من الركائز المنهجية المشتركة عند المتكلمين ولا سيما الاشاعرة منهم هو الشروع ابتداءً بذكر المقدمات التي يستلزمها النظر الاستدلالي وعملية بناء الادلة القائم على اختيار مقدمات سليمة تنتج نتائج سليمة، ومن هنا نجد الباقلاني حين يشرع بذكر اول واجب على المكلف يقول: " ان يعرف بدء الاوائل والمقدمات التي لا يتم له النظر في معرفة الله عز وجل وحقيقة توحيده وما هو عليه من صفاته التي بان بها عن خلقه وما لأجل حصوله عليها استحق ان يعبد بالطاعة دون عبادته"^(٢) وعلى هذا المنهج يبدأ الباقلاني اسلوبه في انصافه وذلك بان يجعل القاعدة الاولى هي استحضار مقدمات النظر بحيث يتحصل لدى المتعلم علماً " بأقسام العلوم وحقائقها وخصائصها واضرب المعلومات واضرب الاستدلال"^(١). وما إلى ذلك من وسائل العلم الاستدلالي والتي بمعرفتها يستعد ذهن المكلف لادراك الآتي من الواجبات...وعلى منهج لا يختلف كثيراً سار البغدادي إذ نراه يشرع

١ - موقف العقل ١/٢٧٨.

٢ - ينظر: الانصاف ص ١٣.

و أقسامها و أسمائها وحدود العلم لدى العلماء والفاضل من العلوم بحسب ما ذهب إليه الاشاعرة^(٢) وانه في الوقت الذي نلاحظ فيه تقارب منهجي الباقلاني في انصافه والبغدادى في اصوله فانه من اللافت للنظر قول الجويني " ان الاولى تقديم عبارات اصطلاح الموحدون عليها ابتغاء منهم لجمع المعاني الكثيرة في الالفاظ الوجيزة"^(٣) إذ انه قال هذا قبل شروعه بالدلالة على ما وصفه رأس الاصول في لمعه وهو حدوث العالم، وفي الوقت الذي يدل قوله هذا على اتفاقه مع اسلافه من الاشاعرة من ضرورة اعداد الذهن لتلقي وفهم ما يراد تقريره والاستدلال عليه فهو يشعر بنوع تمييز في الاسلوب، إذ لم يتعرض الجويني للكلام على انواع العلوم كما فعل من سبقه من اعلام مدرسته ولعل السبب في هذا يعود الى انه اراد ان يجعل رسالته في غاية الاختصار فالجويني (رحمه الله تعالى) اخذ يستدل مباشرة على حدوث العالم واتخذ من ذلك مقدمة للدلالة على المحدث^(٤) ولكنه مع هذا لم يخرج عن المنهج الذي اختطه وسبق الاشارة اليه إذ قدم "بيان المراد من العالم في اصطلاح الموحدين واختار جملة من الحدود التي حد بها

١ - ينظر: المصدر نفسه ص ١٤-١٥.

٢ - ينظر: اصول الدين ص ٥-١٠.

٣ - ينظر: لمع الادلة ص ٧٦.

٤ - ينظر: لمع الادلة ص ٧٦-٧٧.

العلماء الجواهر^(١) والأعراض^(٢)"^(٣) وبهذا جعل الجويني الاصل الاول من اصول كتابه هو حدوث العالم ووجود الصانع فيها جعل كل من الباقلاني والبغدادي بيان الحقائق والعلوم واقسامها الاصل الاول في مصنفيهما.

واما الإمام الغزالي (رحمه الله تعالى) فهو يختار تقسيم القواعد الاعتقادية على هيئة "اركان ويضمها في اربعة اركان ويجعل كل ركن منها مؤلفا من فصول عدة ويجعل معرفة الله سبحانه على رأس هذه الاركان"^(٤) وهو بهذا يستقي منهجه من حديث جبريل عليه السلام إذ سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة

-
- ١ - الجواهر جمع جوهر وهو عند المتكلمين العين الذي لا يقبل الانقسام لا فعلا ولا فرضا ولا وهما، وهو الجزء الذي لا يتجزأ... شرح النفسية ص ٩٤-٥٠.
 - ٢ - الاعراض: جمع عرض وهو عند المتكلمين: ما لا يقوم بذاته بل بغيره بأن يكون تابعا له في التحيز. شرح النفسية ص ٥٢.
 - ٣ - ينظر: لمع الادلة ص ٧٧-٨٠.
 - ٤ - ينظر: قواعد العقائد ضمن احياء علوم الدين ١/١٨١.

والسلام (ان تؤمن بالله وملأنته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(١).

ان من الملاحظ على اسلوب كل من الباقلاني والبغدادى والجويني في استدلالهم على حدوث العالم انهم يعتمدون طريقة المتكلمين وذلك باثبات حدوث مكونات العالم من الجواهر والاعراض ليتوصلوا بعد ذلك الى القول بحدوث العالم اي يستخدمون المقدمات العقلية للوصول الى النتائج وفي المقابل يلاحظ ان الغزالي (رحمه الله) يبدأ اسلوبه في الاستدلال بتصدير دلائل القرآن إذ يقول " و أول ما يستضاء به من الاتوار ويسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن الكريم ،فليس بعد بيان الله سبحانه بيان"^(٢) وبعد ان يعرض الغزالي رحمه الله مجموعة من الآيات الدالة على خلق العالم وفي مقدمتها قوله تعالى ((ألم نجعل الأرض مهاداً* والجبال أوتاداً* وخلقناكم أزواجاً))^(٣) يصرح قائلاً: فإن في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكن على

١ - صحيح مسلم بشرح النووي ١/١٥٧.

٢ - ينظر: قواعد العقائد ضمن احياء علوم الدين ١/١٨٢.

٣ - النبأ: ٥-٧.

سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول: "من بدائه العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فإذن لا يستغني في حدوثه عن سبب" (١) وهنا نجده قد التقى في المنهج مع اصحابه المتقدمين من الاشاعرة الذين خصصوا جزءاً من كلامهم في مسأله حدوث العالم "لبيان اقسام المحدثات واثبات حدوث الاجسام والجواهر والأعراض" (٢) وهم بهذا قد اتموا بناء الاسس المنهجية لاولى القواعد الاعتقادية ليشرعوا بعد ذلك في الكلام على عماد قواعد العقيدة وأعني اثبات الصانع والمحدث للعالم وهو الله سبحانه.

١ - ينظر: قواعد العقائد ضمن احياء علوم الدين ١/١٨٣.

٢ - ينظر: لمع الادلة ص ٧٦-٧٩.

المطلب الثاني

في الالهيات

اولا: حدوث العالم واثبات الصانع

تقصيا لما بدأناه من عرض اسلوب من اخترناهم من علماء الاشاعرة المتقدمين في منهجيتهم القائمة على تقعيد العقائد نشرع بوصف اساليبهم في باب آخر من ابواب علم الكلام وهو باب الالهيات فإننا إذا تتبعنا منهج الباقلاني (رحمه الله) نجده ينتقل بعد ايجابه العلم بحدوث العالم للكلام على "وجوب العلم بأن للعالم محدثا مستدلا على هذا بوجود الحوادث متقدمة ومتأخرة مع صحة تأخر المتقدم منها وتقدم المتأخر وعدم جواز ان يكون التقدم والتأخر ذاتيا وعليه وجب ان يدل على وجود فاعل فعله"^(١) اما الجويني (رحمه الله) فيستدل على اثبات الصانع بأسلوب آخر إذ يقول: "والدليل على ان العالم له صانع انه قد صح حدوث العالم بالدلالة التي ذكرناها، والحادث جائز الوجود إذ يجوز تقدير وجوده بدلا عن عدمه ويجوز تقدير عدمه بدلا عن وجوده فلما اختص بالوجود الممكن بدلا عن العدم

١ - ينظر: الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ١٨.

الجائز افتقر الى مخصص وهو الصانع تعالى^(١) وبأسلوب قريب من أسلوب الباقلاني يستدل البغدادي إذ يقول: "والدليل على ان الحادث لا بد له من محدث إنه يحدث في وقت ويحدث ما هو من جنسه في وقت آخر فلو كان حدوثه في وقته لاختصاصه لوجب ان يحدث في وقته كل ما هو من جنسه وإذا بطل اختصاصه بوقته لاجل الوقت صح ان اختصاصه به لاجل مخصص خصصه به لولا تخصيصه اياه به لم يكن حدوثه في وقته أولى من حدوثه قبل ذلك او بعده ولأنه إذا لم يصح حدوث كتابه لا من كاتب ونسج لا من ناسج وبناء لا من بان كذلك لا يصح وقوع حادث لامن محدث"^(٢)، وإذا نظرنا في أسلوب الغزالي نجده يختم استدلاله على حدوث العالم من طريقي النقل والعقل بالقول: "وإذا ثبت حدوثه -العالم- كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة"^(٣).

١ - ينظر: لمع الأدلة ص ٨٠-٨١

٢ - ينظر: اصول الدين ص ٦٩.

٣ - ينظر قواعد العقائد ضمن احياء علوم الدين ١/ ١٨٤.

وبعد ان يتم بناء هذه القاعدة المتعلقة باثبات الصانع عند هؤلاء العلماء
النظار نجدهم ينتقلون لبيان نعوت الصانع الذاتية لبدأوا بناء قاعدة اخرى من
قواعد العقيدة.

ثانيا: الايمان بصانع العالم وبنعوته الذاتية

ان الباقلاني قبل الشروع في الكلام على بيان الصفات الذاتية لصانع
العالم تكلم في اول ما فرض على العباد معرفته إذ يقول: "إن اول ما فرض الله
(عز وجل) على جميع العباد النظر في آياته والاعتبار بمقدوراتهِ والاستدلال
عليه بآثار قدرته، والثاني من فرائض الله (عز وجل) على العباد الايمان به
والاقرار بكتبه ورسله وما جاء من عنده والتصديق بجميع ذلك بالقلب
والاقرار به باللسان"^(١) ثم يتبع ذلك بقوله: "والايمان بالله تعالى يتضمن
التوحيد له سبحانه والوصف له بصفاته ونفي النقائص عنه الدالة على حدوث
من جازت عليه، والتوحيد له هو الاقرار بأنه ثابت موجود واله فرد معبود ليس
كمثله شيء وانه الاول قبل جميع المحدثات الباقي بعد المخلوقات وانه الحي الذي

١ - ينظر: الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ٢٢.

لا يموت والدائم الذي لا يزول، وانه اله كل مخلوق ومبدعه وانه قديم باسمائه وصفات ذاته والتي منها الحياة والقدرة والعلم والإرادة والكلام والسمع والبصر والبقاء^(١) ومستند الباقلاني في بيان هذه الصفات على القرآن الكريم إذ يسوق الآيات الدالة على ثبوت كل صفة من الصفات التي ذكرها.

و أول ما يتناول البغدادي بيانه في هذا الباب بعد اثبات الصانع وإيجاب الايمان به هو عدد الصفات الازلية الثابتة له سبحانه إذ يقول: "اجمع اصحابنا على ان قدرة الله عز وجل وعلمه وحياته وارادته وسمعه وبصره وكلامه صفات له ازلية وانهم مجمعون على ان الله تعالى حي بحياة وقادر بقدرة وعالم بعلم ومريد بارادة وسماع بسمع وباصر ببصر ومتكلم بكلام وان هذه الصفات السبع ازلية وسموها قديمة"^(٢) فاما الجويني فيبتدئ كلامه عن صانع العالم بقوله: " صانع العالم ازلي الوجود قديم الذات"^(٣) ويتبع ذلك بالكلام على الصفات فيقول: " صانع العالم حي عالم بجميع

١ - ينظر: المصدر نفسه ص ٢٢-٢٣

٢ - اصول الدين ص ٩٠.

٣ - لمع الادلة ص ٨٢.

المعلومات قادر على جميع المقدورات مريد على الحقيقة سميع بصير متكلم، وأضداد هذه الصفات نقائص والرب سبحانه وتعالى يتقدس عن سمات النقص^(١). وهكذا نجد الائمة المتقدمين قد اتفقوا في منهجيتهم المتعلقة باثبات صفات الباري سبحانه وتعالى لكننا نلاحظ تنوعا في منهجية ترتيب الصفات بل ان هذا التنوع المنهجي يشمل كذلك اسلوب تتابع الاصول والقواعد ومن هنا نجد الامام الغزالي (رحمه الله) تكلم عن الصفات تفصيلا في ركن ثان اتبعه بالركن الاول الذي خصصه للكلام على معرفة الله (سبحانه وتعالى) ولكنه في الوقت ذاته ضمنه اصولا تتعلق " بضرورة العلم بكون الله سبحانه قديما أزليا ليس لوجوده اولية وكونه أديا ليس لوجوده آخرية وانه تعالى ليس بجوهر يتحيز او جسم يتألف او عرض يحل في محل وانه تعالى منزه عن الاختصاص بالجهات"^(٢).

والذي يلاحظ على اسلوب الاشاعرة المتقدمين في تناولهم للصفات انهم تكلموا عليها جملة دون ان يميزوا بين ما عده المتأخرون صفات سلبية او صفات معان او صفات افعال او صفات خبرية فهذه الاصطلاحات من الاضافات المنهجية التي

١ - ينظر: المصدر نفسه ٨٢-٨٥.

٢ - ينظر: قواعد العقائد ضمن احياء علوم الدين ١٨٤/١-١٨٥.

افادها المتأخرون^(١) ومع ان المتقدمين لم يفرّدوا الكلام عن الصفات بحسب المسميات التي استخدمها المتأخرون الا انهم سبقوا المتأخرين في بناء الادلة الدالة على كل صفة، ففي اثبات الوجدانية اعتمدوا دليل التمانع وإذا استعرضناه من لمع الجويني نجده قد صيغ على النحو الآتي: انا لو قدرنا إلهين اثنين وفرضنا عرضين ضدين وقدرنا ارادة احدهما لاحد الضدين وارادة الثاني للثاني فلا يخلو من امور ثلاثة.. إما ان تنفذ ارادتهما.. او لا تنفذ ارادتهما.. او تنفذ ارادة احدهما دون الآخر... واستحال ان تنفذ ارادتهما لاستحالة اجتماع الضدين، واستحال ايضا ألا تنفذ ارادتهما لتمانع الالهين وخلو المحل من كلا الضدين ، فإذا بطل القسمان تعين الثالث وهو ان تنفذ ارادة احدهما دون الآخر، فالذي لا تنفذ ارادته فهو المغلوب المقهور المستكره، والذي نفذت ارادته فهو الاله القادر على تحصيل ما يشاء^(٢).

وقد سبق الباقلاني الجويني الى هذا الدليل و أبان انه مستنبط من الشرع إذ قال:
"والدليل على ان صانع العالم واحد أحد قوله تعالى ((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا))"^(٣)

١ - للمقارنة ينظر: ام البراهين بحاشية الدسوقي ص ٩-١٠، وجوهرة التوحيد بحاشية الباجوري ص ٣٢-٥٢.

٢ - لمع الادلة ص ٨٦.

٣ - الانبياء: ٢٢.

والدليل المعقول مستنبط من هذا النص المنقول^(١) "فالقواعد المشتركة في باب الالهيات عند الاشاعرة هي الاستدلال على وجود الخالق سبحانه ثم تنزيهه عن كل سمات الحوادث مع اثبات الصفات التي وصف الله بها ذاته المقدسة وتأويل كل نص قد يوهم تشبيهاً بالحوادث ثم اثبات امكان رؤية الله سبحانه في الآخرة إذ يقول الباقلاني: "اعلم ان اهل السنة والجماعة قد جوزوا الرؤية على الله تعالى شرعا وعقلا بلاخلاف بينهم على الجملة"^(٢) وقد استند اهل السنة ومنهم الاشاعرة في تأصيل قاعدة تجويز الرؤية على ادلة نقلية منها قوله تعالى ((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة))^(٣) وردوا على ادلة المعتزلة في عدم تجويزهم للرؤية كما انهم اقاموا الدلالة العقلية على القول بامكانها "فطريقهم العقلي في اثباتها مبني على تصحيح رؤية كل موجود والله سبحانه ذات لها الوجود فصح رؤيته سبحانه"^(٤)

١ - الانصاف ص ٣٤.

٢ - المصدر نفسه ص ١٧٦.

٣ - القيامة: ٢٢.

٤ - ينظر: اصول الدين ص ٩٠.

المطلب الثالث

في النبوات

ان أول قاعدة اعتقادية وضعها الاشاعرة في هذا الباب و أوجبوا العلم بها هي جواز ارسال الرسل والانبياء وامكان البعثة اذ يقول الباقلاني: "ويجب ان يعلم انه يجوز لله تعالى ارسال الرسل وبعث الانبياء.. والدليل عليه انه مالك الملك يفعل مايشاء، مع انه ليس في ارسال الرسل استحالة ولاخروج عن حقائق العقول فدل على جواز ذلك"^(١) ويقول الجويني: "اذا لم يكن في ارسال الرسل استحالة او خروج عن الحقيقة فيجب الحكم بجوازه"^(٢) واذا اردنا ان نتبين القواعد التي تنحصر في باب النبوة كما اثبتها امام من ائمة الاشاعرة وهو الجويني نجدها "خمس قواعد قدمنا احداها وهي جواز انبعاث الرسل عليهم الصلاة والسلام فاما الثانية فهي المعجزات وشرائطها واما الثالثة فهي وجه دلالة المعجزة واما الرابعة فتخصيص نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالايمان واما الخامسة فالكلام في احكام الانبياء وما يجب لهم وما يجوز عليهم"^(٣) ويقول الامام الغزالي (رحمه الله) في

١ - ينظر: الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ٦١.

٢ - لمع الادلة ص ١٠٩.

٣ - ينظر: الارشاد الى قواطع الادلة ص ٢٥٧.

ذلك "ليس يستحيل بعثة الانبياء خلافاً للبراهمة"^(١) لان العقل لا يهدي الى الاعمال المنجية في الآخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء كاحتياجهم الى الاطباء"^(٢) واما ما يخص المعجزة فالقاعدة فيها هي "ان صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه وانما يثبت بالمعجزات التي من شرائطها ان تكون خارقة للعادة مقرونة بالتحدي متعلقة بتصديق دعوى من ظهرت عليه"^(٣) واما ما يتعلق بوجه دلالتها على صدق النبي "فانها تنزل منزلة التصديق بالقول اي انها بمنزلة قول الله سبحانه للخلق صدق هو رسولي اليكم"^(٤) واما ما يخص نبوة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقاعدة اقرار ذلك بدلالة المعجزات التي دلت على نبوته صلى الله عليه وسلم وعلى كونه مبعوثاً للخلق كافة.

يقول الباقلاني (رحمه الله): "ويجب ان يعلم ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الخلق وان شرعه لا ينسخ بل هو ناسخ لجميع من خالفه"^(٥)

١ - ديانة هندية نسبتها الى برهم وهو عند من يعتنقها الاله الموجود في ذاته الذي لا تدركه الحواس ويدركه العقل ينظر: اصول الدين الاسلامي ص ٢٠٥.

٢ - قواعد العقائد ضمن احياء علوم الدين ١/١٩٨.

٣ - ينظر: الانصاف ص ٦١، الارشاد ص ٢٦٢، لمع الادلة ص ١١٠.

٤ - ينظر: لمع الادلة ص ١١٠-١١١، قواعد العقائد ضمن الاحياء ١/١٩٩، الارشاد ص ٢٧٣.

٥ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ٦٢.

ويبين الجويني ان الدليل على ثبوت نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم آيات ومعجزات سوى القرآن، كانطاق العجماء، ونبع الماء من بين الاصابع^(١) ويقول الغزالي فيما وضعه اصلاً عاشراً من الركن الثالث في قواعده: "ان الله قد ارسل محمداً صلى الله عليه وسلم خاتماً للنبيين وناسخاً لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها القرآن العظيم"^(٢).

وجعل البغدادي ما يتعلق بمعرفة الاتبياء عليهم الصلاة والسلام أصلاً سابعا في كتابه اصول الدين" وفرّع هذا الاصل على خمس عشرة مسألة ابتدأها ببيان معنى النبوة والرسالة ثم اتبعها بمسألة جواز بعثة الرسل ثم ذكر مسائل اخرى متعلقة بالنبوة"^(١) ومن الملاحظ هنا ان من سبق البغدادي من الاشاعرة لم يجد حاجة في مرحلة التصنيف هذه لبيان معنى النبوة والرسالة قبل الشروع ببيان اهمية بعثة الرسل واقامة الدلالة على البعثة ولربما انهم لم يعرفوا خلافاً جوهرياً يتعلق بمعنييهما، ولعل الاكثر دقة ان غرضهم من مصنفاتهم في هذه المرحلة بيان

١ - ينظر: لمع الادلة ص ١١١ - ١١٢.

٢ - قواعد العقائد ضمن احياء علوم الدين ١٩٨/١ - ١٩٩.

قواعد الاعتقاد وبأسلوب مختصر، ووضع التعريفات بخلاف ما نجده عند المتأخرين
اذ نجد اهتماماً كبيراً عندهم بشرح المصطلح ويعد عملهم هذا تطوراً في منهجية
التأليف اذ اخذ المصنفون يميلون الى التظويل في مصنفاتهم ويولون اهتماماً
بوضع التعريفات اللغوية والاصطلاحية وبشرحها وهذا ما نجده عند السيد الشريف
في شرحه لمواقف الايجي وكذلك عند التفتازاني في شرحه لمقاصده، ثم ان
البغدادي تميز عن سبقة من الاشاعرة بالتعرض لمسائل متعلقة بباب النبوة لم
يتعرض لها اولئك وهو قد جعلها اصل النبوة في كتابه اصول الدين فمما تكلم فيه"
بيان عدد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وترتيب الرسل من حيث السبق
في البعثة، واثبات صحة نبوة موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وكون
نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين، والكلام في التخصيص والتعميم في
الرسالة، والكلام في جواز المفاضلة بين الرسل وفي افضلية نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم من حيث عدد المعجزات والكرامات وكون التفضيل لا يخل بمكانة سائر
الانبياء وختم هذا الاصل ببيان كون الانبياء معصومين عن الذنوب كلها بعد البعثة

على ما اجمع عليه الاشاعرة^(١) ولم يقتصر كلام البغدادي في النبوات على الاصل المتقدم وانما اشتمل منهجه على افراد المعجزات في اصل جعله مكملاً للاصل الاول وجعل لهذا الاصل ركائز اولها "بيان حقيقة المعجزة اذ يذكر تعريفها في اللغة والاصطلاح ويبين سبب اختيار القيود التي تضمنها التعريف الاصطلاحي"^(٢) وبهذا المنهج تميز البغدادي ايضاً عن اسلافه الاشاعرة اذ لم اجد في المصنفات موضع الدراسة من تعرض لذكر قيود التعريفات.

وفضلاً عن الكلام على حقيقة المعجزة فقد تكلم البغدادي على اقسام المعجزات وجعلها على نوعين "احدهما وجود فعل غير معتاد مثله والثاني تعجيز الفاعل بشيء معتاد عن فعل مثله"^(١)، وقد ذكر للنوعين أمثلة، ثم اشار الى الفرق بين المعجزات والكرامات اذ قال: "اعلم ان المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات غير ان الفرق بينهما من وجهين، احدهما تسمية ما يدل على صدق الانبياء معجزة، وتسمية ما يظهر على الاولياء كرامة للتمييز بينهما، والوجه الثاني ان صاحب المعجزة لا يكتف معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه،

١ - ينظر: اصول الدين ص ١٥٧ - ١٦٩.

٢ - ينظر: المصدر نفسه ص ١٧٠.

وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها ولا يدعي فيها"^(٢) وبعد ان بين البغدادي مسألة مهمة في هذا الاصل وهي الفرق بين المعجزة والكرامة ختم كلامه في بيان معجزة كل نبي على التفصيل اذ قال: "كانت معجزة آدم عليه السلام علمه بالاسماء من غير درس ولا قراءة كتاب، ومعجزة ابراهيم عليه السلام النجاة من النار، ومعجزة موسى اليد البيضاء، ومعجزة عيسى احياء الموتى، وابراء الاكمه، حتى قال وكذلك كل نبي له معجزة مخصوصة واجتمعت لنبينا صلى الله عليه وسلم جميع وجوه المعجزات التي تفرقت في الانبياء"^(٣) ومع ان الجويني (رحمه الله) ذكر ان الكلام في احكام الانبياء وما يجب لهم وما يجوز في حقهم معدود من قواعد الاعتقاد في باب النبوة الا انه لم يتناول ذلك تفصيلاً كما لم يتناوله الباقلاتي والبغدادي والغزالي في مصنفاتهم محل الدراسة والتي تكلموا فيها على قواعد الاعتقاد، ولعل الرازي^(٤) رحمه الله من اوائل المتكلمين على العصمة اذ صنف كتاباً خاصاً تناول عصمة

١ - اصول الدين ص ١٧١.

٢ - ينظر: المصدر نفسه ص ١٧٤.

٣ - ينظر: المصدر نفسه ص ١٨٠.

٤ - ابو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي المفسر المتكلم الشهير المتوفى (٦٠٦هـ). ينظر: وفيات الأعيان ٢٤٩/٤ - ٢٥٢، طبقات الشافعية ٩٣/٨.

الانبياء على التفصيل بين فيه "ان الامة مجمعة على وجوب العصمة في حق الانبياء فيما يتعلق بالامور الاعتقادية فهم معصومون عن الكفر مطلقاً وكذا عن الابتداع في الدين واما ما يتعلق بالاحكام فالاجماع قائم ايضاً على انه لايجوز في حق الانبياء التحريف والخيانة والكتم للشرائع فهم معصومون عن ذلك"^(١) وتفصيل الكلام في عصمة الانبياء كما نجده عند الرازي نجده كذلك عند من تبعه من علماء الاشاعرة المتأخرين ومنهم الايجي فهو كذلك ينقل الاجماع على كون العصمة واجبة في حق الانبياء اذ يقول "اجمع اهل الملل والشرائع على عصمتهم عن تعدد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى"^(٢) ويقول التفتازاني في شرحه لقول النسفي^(٣) (رحمه الله) وهو يصف الانبياء بعبارة (صادقين ناصحين) يقول: "هذا اشارة الى ان الانبياء معصومون عن الكذب خصوصاً فيما يتعلق بأمر الشرائع"^(٤) .

١ - عصمة الانبياء ص ٨ .

٢ - المواقف ص ٣٥٨

٣ - نجم الدين عمر بن محمد بن احمد النسفي السمرقندي التكلم الفقيه الحنفي المتوفي (٥٣٧هـ) معجم المؤلفين ١٠٠/٧ .

٤ - شرح السفية ص ٢٢١ .

ان من القواعد الاعتقادية المتعلقة بباب النبوة عند المتأخرين (ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الانبياء) فهي عندهم اصول وقواعد اعتقادية يصدرون بها باب النبوة في مصنفاتهم وهذا ما لم نجده عند المتقدمين تفصيلاً كتفصيل المتأخرين فإذا نظرنا في كتاب ام البراهين للسنوسي^(١) وهو المسمى (السنوسية الصغرى) نجده يصدر باب النيات بالقول "واما الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجب في حقهم الصدق والامانة وتبليغ ما امروا بتبليغه للخلق"^(٢) ثم ينفي في حق الانبياء عليهم السلام اضداد الصفات المتقدمة اذ ينفي "الكذب والخيانة بفعل شيء مما نهى عنه نهى تحريم او كراهة وكتمان شيء مما امروا بتبليغه للخلق"^(٣) ثم ينتقل لبيان الجائز في حقهم عليهم الصلاة والسلام اذ يقول: "ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ما هو من الاعراض البشرية التي لاتؤدي الى نقص في مراتبهم العلية كالمرض ونحوه"^(٤)

١ - ابو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي فقيه اشعري من متكلمي تلمسان (ت ٨٩٥هـ) دائرة المعارف الإسلامية ٢٩١/١٢.

٢ - ام البراهين بحاشية الدسوقي ص ١٧٠.

٣ - المصدر نفسه ص ١٧٠-١٧١.

٤ - المصدر نفسه ص ١٧١.

وهذا منهج اللقاني^(١) كذلك في جوهرة التوحيد اذ يقول في منظومته هذه :

وواجب في حقهم الامانة	وصدقهم وضاف له الفطنة
ومثل ذا تبليغهم لما اتوا	و يستحيل ضدها كما رووا
وجائز في حقهم كالاكل	وكالجماع للنسا في الحل ^(٢)

١ - عبد السلام بن ابراهيم بن ابراهيم اللقاني شيخ المالكية في وقته بالقاهرة (ت ١٠٧٨هـ). الاعلام ٣/٣٥٥

٢ - جوهرة التوحيد بشرح البيجوري ص ٧٣.

وقد شرح هذه المنظومة الشيخ ابراهيم البيجوري^(١) (رحمه الله)، ويقول في شرحه لهذا الموضوع ويستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام اضرار هذه الصفات الاربعة الواجبة في حقهم فصد الامانة الخيانة وضد الصدق الكذب وضد الفطانة الغفلة وضد التبليغ كتمان شيء مما امروا بتبليغه ومعنى استحالتها عدم قبولها الثبوت^(٢) . ومن القواعد التي يثبتها الباقلاني في هذا الباب كون نبوات الانبياء لا تبطل بموتهم، اذ يقول " ويجب ان يعلم ان نبوات الانبياء صلوات الله عليهم لا تبطل ولا تنخرم بخروجهم عن الدنيا وانتقالهم الى دار الآخرة بل حكمهم في حال خروجهم من الدنيا كحكمهم في حالة نومهم.. والدليل عليه ان حقيقة النبوة لو كانت ثابتة لهم في حالة اشتغالهم باداء الرسالة دون غيرهم من الحالات لكانوا في غيرها من الاحوال غير موصوفين بذلك"^(٣) ثم يقول :

" مذهب المحققين : ان الرسول ما استحق شرف الرسالة بتأديتها وانما صار رسولا واستحق شرف الرسالة والنبوة بقول مرسله وهو الله سبحانه : انت رسولي ونبيي،

١ - ابراهيم بن محمد البيجوري كان اعلم من درس في الازهر وكان شيخاً له (ت ١٢٧٧هـ) دائرة المعارف

الإسلامية ٢٩١/١٢

٢ - جوهرة التوحيد بشرح البيجوري ص ٧٣.

وقول الله تعالى قديم لا يزول ولا يتغير، والدليل على صحة هذا انه صلى الله عليه وسلم
سئل فقيل له: متى كنت نبياً؟ فقال: (كنت نبياً وآدم بين الروح و الجسد)^(٢) فحاصل
الجواب في هذا: أن شرف النبوة وكمال المنصب ثابت للانبياء صلوات الله عليهم
اجمعين الان حسب ما كان ثابتاً في حال الحياة لم ينثلم ولم ينتقص سواء نسخت
شرائعهم او لم تنسخ^(٣).

١ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ٦٣-٦٤.

٢ - المستدرك ٦٦٥/٢. قال الحاكم: صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، مصنف ابن ابي شيبة ٣٢٩/٧ ، المعجم
الكبير ٣٥٣/٢٠ .

٣ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ٦٤.

المطلب الرابع في اليوم الآخر

من المقطوع به ان الايمان باليوم الآخر ركن من اركان الايمان وأصل من اصول الدين اذ قد ثبت كونه ركنا بمنطوق القرآن والسنة اذ امر سبحانه بقتال من لا يؤمن باليوم الآخر وذلك في قوله تعالى ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون))^(١) وجاء في حديث جبريل.. (قال: فأخبرني عن الايمان. قال: ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(٢) وعليه فان كل ما يدخل في هذا الاصل وجب الايمان به، ومن هنا نجد الباقلاتي (رحمه الله) حين يقعد العقائد في انصافه يقول: "ويجب ان يعلم ان كل ماورد به الشرع من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، ورد الروح الى الميت عند السؤال، ونصب الصراط، والميزان، والحوض والشفاعة للعصاة من المؤمنين كل ذلك حق وصدق ويجب الايمان والقطع به"^(٣) اما الجويني فيجعل القاعدة الاعتقادية مقرونة بتجويز العقل مع كون المعتقد وارداً في الشرع اذ يقول: "وكل ما جوزه العقل وورد به الشرع وجب القضاء

١ - التوبة ٢٩.

٢ - سبق تخريجه ص ٩.

بثبوتة. فمهما ورد الشرع به عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، ورد الروح الى الميت في قبره، ومنها الصراط، والميزان، والحوض، والشفاعة للمؤمنين كل ذلك حق^(٢)، ولم يقتصر الباقلاني على ذكر قواعد الايمان باليوم الآخر وانما اتبع ذلك بذكر الادلة، ففي اثبات عذاب القبر يقول: "والدليل على اثبات عذاب القبر قوله تعالى ((ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا))^(٣) يعني عذاب القبر، وايضاً قوله صلى الله عليه وسلم (انما القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار)^(٤) ويستدل (رحمه الله) على سؤال منكر ونكير بقوله تعالى ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة))^(٥)^(٦) وفي اثبات الصراط يقول: "ويدل على نصب الصراط قوله تعالى ((وان منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً))^(٧) واريد به العبور على الصراط، وقول النبي صلى الله عليه وسلم

١ - الانصاف في ما يجب اعتقاده ص ٥١.

٢ - لمع الادلة ص ١١٢-ص ١١٣، وانظر الارشاد الى قواطع الادلة ص ٣٢٠.

٣ - طه: ١٢٤

٤ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ٥١، والحديث رواه الترمذي في سننه وقال: حسن غريب. ٦٣٩/٤

٥ - ابراهيم: ٢٧.

٦ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ٥١.

٧ - مريم: ٧١١.

(ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكوز
الا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سا
والدليل على نصب الميزان قوله تعالى ((ونظ
تعالى ((فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا))^(٤)
ثبوت الشفاعة قوله تعالى ((ولا يشفعون الا لد
شفاعتي لأهل الكبائر من امتي))^(٧) ^(٨) وهكذا
الاعتقادية المكونه للركن الاعتقادي الثالث
بدلائلها النقلية ولم يكتف بذكرها فيما لم

١ - صحيح مسلم بشرح النووي ٣/٢١-٢٢.

٢ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ٥١.

٣ - الانبياء: ٤٧.

٤ - الكهف: ١٠٥.

٥ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ٥٢.

٦ - الانبياء: ٢٨.

٧ - صحيح ابن حبان ١٤/٣٨٦-٣٨٧، المستدرک ١/
ولم يخرجاه.

٨ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ص ٥٣.

بين القاعدة الاعتقادية في هذا الباب ولم يتبعها بدلائل سمعية تدل على ثبوتها ووجوب الإيمان بها.

اما البغدادي فيضع في كتابه اصلا يسميه "(في معرفة احكام العباد في المعاد) ويضمنه المسائل الاعتقادية المتعلقة باليوم الآخر كاثبات الشفاعة والحوض والميزان والصراط وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر و يبين مقتضى كل مسألة من هذه المسائل كما صرح به"^(١) فاما في اثبات الشفاعة فيقول: "اثبت اهل السنة الشفاعة للانباء عليهم السلام وللمؤمنين بعضهم في بعض على قدر منازلهم"^(٢) وفي اثبات شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يستدل بمجموعة من الاحاديث الشريفة والتي منها قوله عليه الصلاة والسلام (أتاني آت من عند ربي عز وجل فخيرني بين ان يدخل الجنة نصف امتي وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً)^(٣). واما في اثبات الميزان والصراط والصور والحوض وسؤال الملكين فيقول: "وطريق اثبات ما ذكرناه في هذه المسألة الاخبار المستفيضة التي اجمع اهل النقل

١ - ينظر: اصول الدين ص ٢٢٩.

٢ - المصدر نفسه ص ٢٤٤.

على صحتها ولا اعتبار فيها بخلاف من ليس الحديث في صفه بعد ثبوت جواز ذلك كله في العقل^(٢) ومن المناسب ونحن نبين منهج الاشاعرة المتقدمين في تقعيد العقائد المتعلقة باليوم الآخر ان ننظر في منهج البيهقي (رحمه الله) اذ صنف كتاباً خاصاً بهذا الباب اسماء (البعث والنشور) تكلم فيه على معظم مسائل اليوم الآخر وكان اسلوبه في التقعيد انه يسمى فصول الكتاب باسم الاية التي تنطق بالمسألة الاعتقادية ولا عجب فهو من المحدثين وهذه هي طريقتهم في التبويب، ففي مطلع كتابه وهو يؤصل لعقيدة الشفاعة يقول: "باب قوله عز وجل ((ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)) ثم يروي احاديث اثبات الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم^(٣) ثم يبين الوجه العلمي الذي لا يتعارض مع الشفاعة فيما يتعلق بقول النبي صلى الله عليه وسلم (يامعشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شيئاً)^(٤) اذ انه "يخرج على انه صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن التقصير في

٣ - اخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٨٦/١٤، والحاكم بلفظ (وهي لكل مسلم) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ١٣٥/١ وفي رواية احمد وابن ماجة بلفظ (خبرت بين الشفاعة وبين ان يدخل نصف امتي الجنة فاخبرت الشفاعة ... الحديث) مسند الامام احمد ٧٥/٢، ومسند ابن ماجة ١٤٤١/٢.

٤ - اصول الدين ص ٢٤٦.

٣ - ينظر البعث والنشور ص ٢٣ - ٢٤.

٤ - صحيح البخاري ١٠١٢/٣، صحيح مسلم ١٩٢/١

فاستدل بالابتداء على الاعادة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول^(١) وجعل الغزالي الاصل الثاني في هذا الباب لسؤال منكر ونكير وحكم اعتقاده اذ يقول: "وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبيه"^(٢)، اما الاصل الثالث فقد خص به عذاب القبر اذ يقول: "وقد ورد الشرع به.. قال تعالى ((النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب))"^(٣)، واشتهر عن الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لألم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله سبحانه على اعادة الادراك اليها^(٤) واما الاصل الرابع فجعله للكلام على الميزان اذ يقول: "وهو حق قال تعالى ((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة))" ووجهه ان الله سبحانه يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل

١ - قواعد العقائد ضمن احياء علوم الدين ١/١٩٩.

٢ - قواعد العقائد ضمن احياء علوم الدين ١/٢٠٠.

٣ - غافر: ٤٦.

في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب^(٢) وأما الصراط والذي جعله أصلاً خامساً في هذا الباب فيقول فيه " وهو جسر ممدود على متن جهنم ادق من الشعرة وأد من السيف قال تعالى ((فاهدوهم إلى صراط الجحيم وفقوهم أنهم مسؤولون))^(٣) وهذا ممكن فيجب التصديق به"^(٤) وأما الأصل السادس فجعله للكلام على الجنة والنار إذ يقول: "إن الجنة والنار مخلوقتان بدلالة قوله تعالى ((وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين))^(٥) فقوله تعالى (أعدت) دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه"^(٦).

١ - قواعد العقائد ضمن أحياء علوم الدين ٢٠٠/١.

٢ - المصدر نفسه والجزء والصفحة.

٣ - الصفات: ٢٣.

٤ - قواعد العقائد ضمن أحياء علوم الدين ٢٠٠/١.

٥ - ال عمران: ١٣٣.

٦ - قواعد العقائد ضمن أحياء علوم الدين ٢٠٠/١.

في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب"^(١) وأما الصراط والذي جعله أصلاً خامساً في هذا الباب فيقول فيه " وهو جسر ممدود على متن جهنم ادق من الشعرة وأد من السيف قال تعالى ((فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون))"^(٢) وهذا ممكن فيجب التصديق به"^(٣) وأما الأصل السادس فجعله للكلام على الجنة والنار إذ يقول: "إن الجنة والنار مخلوقتان بدلالة قوله تعالى ((وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين))"^(٤) فقوله تعالى ((أعدت)) دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه"^(٥).

١ - المصدر نفسه والجزء والصفحة.

٢ - الصافات: ٢٣.

٣ - قواعد العقائد ضمن إحياء علوم الدين ١/٢٠٠.

٤ - آل عمران: ١٣٣.

٥ - قواعد العقائد ضمن إحياء علوم الدين ١/٢٠٠.

الخاتمة والنتائج

ان مما يمكن ان يؤشر من نتائج لهذا البحث الذي خص جمهرة من علماء الاشاعرة المتقدمين والذي ركز على منهجهم في التصنيف في مرحلة من مراحل حياة كل عالم منهم هو الآتي:-

- ١- ان المتقدمين بمنهجيتهم التي ساروا عليها كانوا متوافقين مع المقاصد التي لغرضها تأسيس علم الكلام (علم اصول الدين) ومن اجلها كان يدافع العلماء وفي سبيلها يجاهد.
- ٢- ان المتقدمين من علماء الاشاعرة كانوا احرص من المتأخرين واكثر اهتماماً بالبناء المنهجي لعلم الكلام (علم اصول الدين).
- ٣- ان المتقدمين من علماء الاشاعرة قد وفقوا في ارساء قاعدة منهجية في التصنيف وحافظوا عليها وبيان من خلال المتابعة المنهجية تأثر كل عالم منهم بمن سبقه فكان ذلك عاملاً مهماً في ترصين البناء المنهجي.
- ٤- ان اثر البناء المنهجي الرصين للمتقدمين يلاحظ ايضاً في مناهج شطر من علماء الاشاعرة المتأخرين.

٥- ان وجود التوافق المنهجي للعلماء المتقدمين كالباقلائي والجويني والبغدادي

لم يغيب خصوصية كل عالم منهم في اسلوب عرض مادته العلمية، فان

المتتبع يستطيع ان يتلمس الهوية العلمية لكل علم من هؤلاء الاعلام.

٦- ان فكرة تأصيل العقائد وتأسيسها خدمت العقائد باعتبارها الثوابت العقدية

التي يتوجب حفظها من مخاطر التحريف والشبه الدخيلة من ناحية وكذلك

خدمت طلبية العلم الشرعي من ناحية اخرى اذ عرفته بالواجب اعتقاده من

عقائد الاسلام ليحفظها ويدافع عنها ويسهل عليه نشرها وتعليمها للآخرين.

المصادر

١. احياء علوم الدين، ابو حامد الغزالي، دار الشعب القاهرة، (د.ت).
٢. الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد، امام الحرمين ابو المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق اسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، ط٣، ١٣١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣. اصول الدين الاسلامي ، تاليف الاستاذين د. رشدي عليان و د. قحطان الدوري ، مطبعة الارشاد ، ط٢ ، بغداد ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٤. اصول الدين، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الافاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٥. الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد، ابو بكر احمد بن الحسن البيهقي، تقديم احمد الكاتب، دار الافاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٦. الاعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٧٩م.

٧. الاتصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي ابو بكر الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
٨. البعث والنشور، الحافظ ابو بكر البيهقي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول الابياني، مؤسسته الكتب الثقافية، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، البابي الحلبي، ط١، مصر، ١٢٨٤هـ - ١٩٦٥م.
١٠. تاريخ بغداد، الحافظ ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد ومطبعة السعادة بمصر، ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م.
١١. تبين كذب المفترى فيما نسب للامام ابي الحسن الاشعري، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة بن عساكر الدمشقي، مطبعة التوفيق، دمشق ١٣٤٧هـ.
١٢. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب الامام مالك، ابو الفضل القاضي عياض اليعصبي المالكي، تحقيق د.احمد بكير، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٣. تهذيب اللغة، ابو منصور محمد بن احمد الازهري، تحقيق عبد السلام

هارون المؤسسة المصرية العامة للتأليف، مصر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٤. حاشية الشيخ ابراهيم البيجوري المسماة (تحفة المريد على جوهرة التوحيد)

ابراهيم البيجوري، دار احياء الكتب العربية، مصر، ١٣٤٣هـ.

١٥. دائرة المعارف الاسلامية، نقلها الى العربية مجموعة من العلماء، جهان

للنشر، طهران (د.ت).

١٦. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد

الباقى، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

١٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي، دار احياء التراث،

بيروت، (د.ت).

١٨. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري

للطباعة والنشر والتوزيع ودار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ت).

١٩. شرح العقائد النسفية سعد الدين مسعود بن عمر، وهي نسخة حجرية عليها

حواش كثيرة كحاشية عصام ورمضان افندي، ١٣٠٣هـ.

٢٠. شرح العقائد النسفية بحاشية الكستلي والخيالي، درسعادت، شركة الصحافة

العثمانية، ١٣٢٦هـ.

٢١. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن محمد ابن ابي العز ، المكتب الاسلامي،

ط٣، دمشق، (د.ت).

٢٢. شرح ام ابراهيم، ابو عبد الله محمد السنوسي، المكتبة الازهرية، ط٢،

مصر، ١٣٢٩هـ.

٢٣. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان احمد التيمي السبتي،

مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، (د.ت).

٢٤. صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ، دار ابن كثير،

تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، ط٣، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري، الطبعة المصرية

ومكتبتها، مصر، (د.ت).

٢٦. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار احياء التراث العربي ، تحقيق محمد

فؤاد عبد الباقي، بيروت ، (د.ت).

٢٧. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد

الكافي السبكي، تحقيق محمد محمد الطناحي عبد الفتاح محمد الحلو،

عيسى البابي الحلبي، ط١، مصر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٨. عصمة الانبياء، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت

٦٠٦هـ)، طبع بالآلوفست عن طبعة المكتبة الشرقية بيروت، (د.ت).

٢٩. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت،

١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٣٠. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك بن عبد الله بن

يوسف إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق د. فؤاد محمد، الدار

المصرية للنشر والترجمة، ط١، مصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥.

٣١. لوامع الآثار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرر المضية في عقيدة

الفرقة المرضية، محمد ابن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٢. المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم

النيسابوري، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ.

٣٣. مسند الامام احمد بن حنبل، احمد بن حنبل ابو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت).

٣٤. مصنف بن ابي شيبة ، ابو بكر عبدالله بن محمد بن ابي شيبة الكوفي ، مكتبة الرشد، تحقيق كمال يوسف الحوتي ، ط١، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٣٥. المعجم الكبير ، سليمان بن احمد الطبراني ، مكتبة العلوم والحكم ، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، ط٢، الموصل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .

٣٦. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ومنشورات المكتبة العربية بدمشق، ١٢٨٧هـ - ١٩٥٩م.

٣٧. مفتاح السعادة ومصباح دار السيادة، احمد بن مصطفى الشهير بطاش كوبري زادة، تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور، دار الكتب الحديثة، ومطبعة الاستقلال القاهرة(د.ت).

٣٨. المنخول ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الفكر، ط٢، تحقيق د.محمد حسن هيتو، دمشق، ١٤٠٠هـ.

٣٩. المواقف في علم الكلام، عضد الدين القاضي عبد الرحمن بن احمد الايجي، عالم الكتب، بيروت.